الفنان في صورة ملك

يختلف الفنان عن سواد الناس بأن فيه عبقرية ترفعه عن المستوى المألوف ، وتدفعه إلى مزاولة ما بين يديه من العمل، على نحو تتجلّى فيه الروعة والطرافة والإبداع .

ولسنا نقصد بالفنان من يهوى فنا من الفنون الجميلة أو يمارسه ، وإنما نقصد ذلك الذى وهبه الله تلك القوة الممتازة ، تلك العبقرية الفنية ، فأسبغت عليه تلك الصبغة الخاصة فيما يمارس من الأعمال أيّا كان اللون الذى تتّسم به . . .

وإنك إذا عرضت مواكب التاريخ فى ركب العصور ، تراءت لك شخصيات من الملوك والوزراء والحكام ، تولوا أقدار الدول ومصاير الشعوب ، فإذا توسمت هذه الشخصيات ، وتفحصت ماجرى على يديها من جسام الأحداث ، تسنّى لك أن تميّز فيها بين الشخصيات المألوفة والشخصيات التى أوتيت عبقرية الفن ، فاتّسمت أعمالها وتصرفاتها بروعة وطرافة وإبداع ...

ولقد تجلت فى البيت العلوىّ تلك العبقرية الفنية فى مظاهر وضّاح ، وكان رأسها « محمد على الكبير » فنّاناً تمثّل فنّه فى عبقرية الخلق والإنشاء ، فهو باعث أمة ، ومنشىء دولة .

وجاء ابنه « إبرهيم » يمثّل فنّه عبقرية الفتح والغزو ، طامحاً أن يجعل من « مصر » إمبراطورية واسعة النطاق ...

ثم كان « إسماعيل » فناناً عبقرياً فى التجديد والتحضّر ، محاولا أن يجعل وطنه قطعة من بلاد المدنية والعمران ...

ثم شهدنا « فؤاداً » فإذا بعبقريته تنحو نحو النهوض والتعمير ، وقد كان عهده عهد الوثبات البعيدة فى شتى المرافق ومناحى الاجتماع ...

وهانحن أولاء نشهد عصر « الفاروق » فإذا بنا نرى الفنّان فى صورة ملك ، الفنان فى أروع مظاهره ، فقد استوعبتْ عبقريته ألواناً وشُكولا من عبقريات بيته العلوىّ . ولعلّ أوضح سمة لعبقرية « الفاروق » أنها ذات صبغة إنسانية مجلوّة ...

تتوضح إنسانية « الفاروق » فى شتى أعماله ومساعيه ، وليست ديمقراطيته التى أصبحت مضرب المثل إلا أول آية من آيات إنسانيته الرائعة ...

وإن الشمس لتشرق كل يوم ، فيطالعها عمل جديد من أعمال « الفاروق » ، أو مسعى من مساعيه يهدف به إلى إسعاد شعبه ، على أسلوب جديد رائع ، أسلوب الفنان فى أوج عبقريته ، يهزّ بصنيعه النفوس هزا ، ويدفعها إلى الاستجابة دفعاً ...

لا يجرى « الفاروق » فى مزاولة مهامّ المُلْك على الأسلوب التقليدىّ الشائع ، وإنما هو يعطى من عظمة روحه ومن زهرة شبابه ما يجعل الملك بين يديه فناً رفيعا يتجلّى فيه وحى العبقرىّ وإلهام الفنان ! .

وطبيعىّ أن يكون قلب الفنان عطوفا على كل اللوامع الفنية فى وطنه ، حريصاً على أن تحيط به من كل جانب ، ومن ثمّ نرى « الفاروق » العظيم لا يكاد يلمح قبسا من أقباس الفن فى الأفكار والأعمـــال والأشخاص ، إلا أفاض عليه ضروبا من الرعاية والعون والتشريف .

ولقد شهد ناعصر « الفاروق » تسطع فى سمائه نجوم فى السياسة والرياضة والعلوم والآداب وشتى ألوان الفنون الجميلة ، فكان لألمعية الملك الفنان كبير الفضل فى أن تتجلىّ هذه النجوم ، لا تحجبها العوائق ، وأن تتبوأ فى آفاق الحياة الاجتماعية منازلها ترسل منها

سواطع الأضواء . وإذا كانت الأفلاك فى سمائها تدور بجاذبية شاملة ، لا يتخلف بها كوكب عن مداره ، ولا يبطىء بها نجم عن تسياره ، فإن شخصية « الفاروق » فى عصره تمثل هذه الجاذبية فى المجتمع المصرى " ، وإنها القوة تؤلف بين تيارات النشاط الفكرى" والاقتصادى والاجتماعى ، وتبعث فيها جميعا روح النهوض والتوثب نحو المثل العليا والأهداف الجسام .

أبو الهول يناجي القاهرة

(رسالة يبعث بها « أبو الهول »
إلى مدينة « القاهرة » يبثها فيها
بعض ما يتناجى في صدره .)

صديقتي « القاهرة » :

هذه رسالة أناجيكِ بها ، وإنها لأول رسالة أفضى بها إلى كائن كان ، منذ عهد عهيد . . .

رسالة أكتبها إليكِ بلغتي الأصيلة ، لغة الرسوم والنقوش ، فعلى الرغم مما وعاه صدري من مختلف اللغات بعيدها وقريبها ، ومن شتى اللهجات مأنوسها ومَجْفُوِّها ، مازالت « الهيروغليفية » أثيرة عندي ، لا تَفْضُلُها لغة سواها .

ومردّ هذا الإيثار « للهيروغليفية » أنها اللغة التي نزلت من لساني منزلة الفطرة والسليقة ، فأصبحتُ موصولاً بها ، وأصبحتْ هي موصولة بي ، فنحن صِنْوان لا يفترقان .

وأكبر ما أخشاه أن أصطنع لغة مستحدثة ، وأن أدير على لسانى لهجة غير لهجتى فأفقد سلامة المنطق ، ولا تستقيم لى قدرة على التعبير الصحيح .

على أن اللغة « الهيروغليفية » تتميز بما فى رسومها من جمال ، وما فى نقوشها من طلاوة ، وذلك كله خليق أن يغرينى بالاحتفاظ بها على تطاول العهد ، وتقادُم الزمن .

ما أروعها من لغة !

إنك إذ تُقلبين النظر فى حروفها ، وتتصفّحين ماحوت من رسوم ونقوش ، فكأنك تجوسين خلال مُتْحَفٍ زَخرت أبهاؤه وقاعاته بما سجلناه على جبين الأيام من فن جميل ..

ولعلى حين أناجيكِ بهذه الرسالة أميط اللثام عن حقيقة ما أشاعوه عنى ، إذ رمونى بالصمت المطبق ، بل جعلونى رمزاً للعِيّ ، ومثلا للبَكَم ، فكأنى عندهم لا أزيد على صخرة خرساء !

حقاً لقد زمّتْ شفتىّ منذ دالت دولة هذه اللغة «الهيروغليفية» التالدة ، فلم أنطق بحرف . ويشهد الزمن أنى ما رضيتُ بحظى هذا من السكوت ، فأنا أضيَقُ ما أكون صدراً بحُبْسَةِ اللسان ، وشدّ ما تشوّفت إلى جليس يتحدث إلىّ بلغتى ، فأجاذبه أطراف

الكلام ، وأروى ظمأ فضوله فيما يريد أن يسألنى عنه من مكنون الأحداث .

فهل وَفَدَ علىّ سائل يتحدث إلىّ بلغتى ، فرددتُه كسيرَ الخاطر ، كاسف البال ؟

فِيمَ إذن هذه الفرية التى يزوّرونها علىّ ، فرية العِىّ والانغلاق ؟

كثيراً ما هممت بأن أحل عقدة ذلك اللسان الحبيس الذى ضقت بصمته ، وكثيراً ما لمع فى خاطرى أن أطلق الصوت عالياً مدوّياً فى تلك الرحاب الفساح من حولى ، لأخفف عنى ما أعانيه من وحشة وحرج ، ولكن أين من يتبين فى صيحاتى ما أريد الإفصاح عنه ؟ أين من يصغى إلىّ ، ويفهم عنى ؟

لكأنى بمن يسمعوننى وقد ولوا فراراً منى ، أوهزُّوا رءوسهم سخرية بى ، يظنون أن رأسى قد خرب ، فراحت تَصْفِر فيه الرياح !

وهأنذا أخيراً أشعر بأنى فى حاجة إلى أن أناجيك ... أناجيك أنت أيتها الصديقة التى جاورتِنى منذ أربعة عشر قرناً ، فأهديتِ إلىّ أنساً وطمأنينة ، بعد أن قضيت سوالف القرون وأنا فى تفرد وعزلة ، تقف من ورائى هذه الأهرام الثلاثة ، أو بالأحرى هؤلاء

الأحراس الأيقاظ ، مشرئبّين متشامخين كأنهم زبانية يعدّون على الأنفاس !

ثمة عاطفة توثقت وتأصلت ، ولم أعد أطيق لها كتماً . . .

عاطفة تهزني إليك ، وتصلني بك ، وأنا في مكاني لا أستطيع منه البَرَاحَ . . . .

لقد آن لي أن أتنفس ، وأن أجلو لك دخيلة نفسي . . .

إن « أبا الهول » اليوم ليتكلم . . . ولكنه لا ينطلق له صوت .

إنه يبوح لكِ بمكنون سره سطوراً وكلمات .

هذه رسالته إليكِ أنتِ وحدكِ . . .

ربما خدعكِ مظهري ، فخيل إليك أني كما أنا صخر مُصْمَت ، جماد يحيا في كهوف الرمال ، طوى الأحقاب في معتزله كما يطوي الناسك عيشه ، صائم الدهر ، حليفَ الصمت ، يسبح في غيبوبة ليس لها مُنْتَهىً . . .

هل خطر ببالك أن لهذا الجماد قلباً ؟

قلباً كسائر القلوب الحية . . .

قلباً يسعَد ويشقى . . .

قلباً يتعاوره الأمل واليأس . . .

قلباً تتداوله ألوان المشاعر والأحاسيس . .

آن لهذا القلب أن يعبر عما يجيش فيه !

آن له أن يُذيع هوى لك طالما كتمه فى الأعماق . . .

لا يُسْرِعَنَّ بكِ الاستخفافُ إلى الابتسام . . .

أشفقى على محب عفيفِ الهوى ، صان لك حبه طوال العصور والآماد . . .

لست أغْفُلُ عما بيننا من فروق . . .

أين أنا منك ؟

أين ذلك الناسك المتقشف تكسوه سافيات الرياح ، من عروس وضاحة الجبين ، تحُفّ بها مجالى الحياة والبشر والنور ؟

أين أنا منك ؟

أين ذلك الجماد المكسور الأنف ، القابع فى ألفاف الركود والخمود ، من تلك الزهرة النامية ، المتطلعة بأنفها الأشمّ إلى موصول التجدّد والازدهار ؟

يا لله !

ما أشدَّ شغفى بك !

قَسَماً إن حياتى كانت قبل أن أراك هباء ، فإذا أنت

تَسبْز عين قبالتي ، فتملئين علىّ دنياى من بهجة وإيناس . . .

أنسى ولا أنسى يوم حل ذلك العربىّ النبيل بهذا الوادى ، وما هو إلا أن خرج بك من فسطاطه ملفوفة فى شملته البدوية ، فسوّى لك على شاطئ النيل مهدك الأول ، مهدا من سُندس خُضْر ، تظلله بواسق النخيل ، وتهدهده عرائس النسيم ، وتشدو له راقصات الطير بأعذب الأهازيج . . .

يابنة الفسطاط :

فى ذلك اليوم الميمون ، يوم مولدك الكريم ، فتحتُ عينى الظامئة الكابية ، فالتقت بعينك الريّانة اللامعة ، فأحسستُ أول ما أحسستُ أن بين جنبي قلبا ، وأن هذا القلب نابض خفاق ...

لم أكن أعرف لقلبي هذا من وجود ، قبل أن تكتحل بمرآك عين الوجود . . .

لكأنك تقولين :

ألم تكن « منفيس » عن كَثَب منك ، فى جنوب الوادى ؟

أوَلم تكن كذلك « عين شمس » بمقربة منك فى الشمال ؟

كانتا هنالك حقاً يابنة الفسطاط .. وعاشتا دانيتين مني لاريب .. ولكنى لم أشهد لهما ظلا ، ولم أحس لهما حياة ...

أما أنتِ فقد رأيتك أمامي تتخلقين وتترعرعين ، فكنتُ كأنما أنا الذي أتعهد تنشئتك ، وأرعى تنميتك …

أنت ابنتي طفلة …

وأنت ربيبتي صبية ..

وأنت صفيتي فتيّة مكتملة النضج والتفتح …

يتمثل في ظني أنك تهمسين قائلة لي :

إني غريبة عنك ، حملني « ابنُ العاص » معه غَرْسَةً من البادية ، فأنبتها على ضفة النهر المبارك الغدوات والروحات .

لله ما أجملك من غريبة مأنوسة !

كان لزاما على ذلك الوادي أن يستقبل غرسا غريبا عنه … نباتا جديدا فتيّ الروح !

لقد ران الخمول على تربة هذا الوادي ، دهورا متلاحقة ، فقضى حياة راتبة خاملة ، فما إن برزتِ في أفق حياته كالكوكب المتألق ، حتى شعرنا بهذا الوادي ينتعش ويتجدد .

منذ هبطتِ هذه الرقعة من أرضه ، سرتْ فيه سارية من النور ، تهديه طريق التحضر ، وتزفّ إليه طريفا من العظمة والمجد .

لله ما أعجبك من غريبةٍ ألُوف !

لم يكد يستقر بك المقام على هذه الأرض ، ترتوين من رحيق نبعه ، وتتنفسين فى رحيب أجوائه ، وتغتذين من تليد زاده ، حتى زالت عنك الغربة ، وما أسرع أن اندمج الوادى فيـــك ، واندمجتِ فيه . . .

لقد تم بينكما تآلف وتزاوج ، فتجلت على الوادى تلك الشخصية المتميزة ، متوثبةً أبداً إلى مشارق الأمجاد .

فيابنة الفسطاط :

كيف لا أهيم بك حباً ؟

أنتِ دَوْماً مطمح البصر ، إليك أرنو ولا أَمَلّ . . .

قاسمتُك مامرّ بك من أحداث ، وياها من أحداث !

لقد تعاقبت عليك الأيام بالسعود والنحوس ، وتداولتك الأقدار بين إقبال وإدبار ، ولكنك ظَلِلْتِ عندى كما أنتِ أثيرة حبيبة ، لايلحق صفاءَ حبي لك شَوْب !

لبثتِ رَدَحاً من الزمن صبية عربية فى فُسْطَاطك البدوىّ ، تحاولين جهد المستطاع أن تحتفظى بذلك المظهر الساذَج ، فإذا بك قد وفد عليك « جوهر الصقلىّ » يهدى إليك كنوز المغرب ، ويتودّد إليك بألوان من الترف كانت قصارى مابلغه الفاطميون.

من ثروة وغنى ، فأصبحتِ بحق « قاهرةَ » القلوب ، وما أنت إلا قاهرتى أنا . . . قاهرةُ « أبى الهول » !

ما أفتنك وما أبهاك من قاهرة !

فى هذا العهد الفاطمىّ الألاّق ، زانك ذلك الزىّ المُتْرَف، حافلاً بالنفيس من الحلىّ ، والفاخر من الحُلَل ، فازدانت بك محافل الأعياد والمواسم درة باهرة السنا ، تَهْوِى إليها أفئدة الناس من كل فجّ وصَوْب . . .

على أنك بعقلك الكبير سموتِ فوق لهو الغوانى ، ودلال الحسان ، فكنتِ راعيةً للعلم ، أمينةً على الدين . فى أفقك الصحو تعالت مئذنة « الأزهر » العتيد تعلنُ كلمة الله، وفى رحابك الخصبة انتثرت معاهد الدرس والبحث ، وعلى أبوابك العامرة احتشدت الوفود تلتمس عندك الخير ، وتطلب الزُّلْفَى .

ثم تواردت الأيام . .

وإذا أنتِ فى صحبة ذلك « الأيوبى » الأبىّ . . . تلبسين دروع الحرب ، وتعبّئين كتائب الشجعان ، ثم تخوضين الغمرات يخفق فوق رأسك لواء النصر والغَلَب . . .

ودارت بك دورة الأيام . . .

وإذا أنت بعد النعمى فى بؤس ، وبعد العزة فى هوان . .

ياللتلك الأيام الصعاب !

كنتُ أحسّ أنا الصخرة العاتية التى ثبتت على الدهر ، كأنى أذوب وأتحلل من فرط التحسر والأسى . . .

ومن أين لى صبر ، وأنا أراك تحت سطوة ذلك « المملوك » الجبار ، ينظر إليك نظرة النمر المفترس ، ويلهب جسدك العزيز بالسياط ؟

ولكنك كنت كريمة فى عهد هوانك وانكسارك ، كما كنت كريمة فى أيام إقبالك واعتزازك . . .

وراء الغلائل من دمعك الهتون ، كانت تتراءى بسمتك الأصيلة النبيلة ، يتجلى فيها الأمل الحلو ، والإيمان المكين .

ودالت دولة هذا الطاغية العسوف . . .

دالت دولة العبودية والإذلال . . .

وخرجتِ من بوتقة المحن والأرزاء ، صافية الجوهر ، فكنت الظافرة القاهرة .

وكيف لا تكونين كذلك ، وقد قيض الله لك ذلك الشهم الغيور ، ذلك العبقرى الفذ ، ابن « قوله » ؟

لكأنى به وهو فى مستقط رأسه البعيد ، يجلس الساعات الطوال ، رانياً إليك ، يخترق بنظره الثاقب سجوف الزمن ، ويغالب أمواج البحر ، فيراك فى محنتك تعانين الشقوة والبأساء ، ويستمع إلى ندائك اللاهف المستصرخ ، فلا يملك إلا أن يهب إليك واثباً وثبته الكبرى ، هاتفاً من أعماق قلبه :

لبيكِ . . . لبيكِ !

إنى لأتمثله الساعة ، وقد هبط عليكِ ، باسطاً ذراعيه إليك ، فتراميتِ فى أحضانه واجفة القلب ، فياضة الحنين ، وكان بينكما هذا العناق الذى لم يكن بعده فراق !

لقد ذاب فيك ، وذبت فيه ، فغدوتما كائناً فرداً لا يتجزأ . . .

وهل يذكر « القاهرة » ذاكر دون أن يسرع إلى خاطره طيف « محمد على » ؟

أليس هو حتى اليوم محلّقاً بروحه العظيم حول قلعته ، يشرف عليك من عَلٍ ، يتعهدك ويرعاك ؟

أو ليس هو حتى اليوم متمثلاً بهمته الوثابة ، وعظمته الخلّاقة ، فى دم حفيده « الفاروق » الجالس على العرش ، يجدد نهضة الوطن ، ويبعث قواه إلى الأمام ؟

ياقاهرتى العزيزة :

أنتِ اليومَ كعبة ذلك الشرق المنبعث لاستعادة حقه فى مكانة الصدر بين الأمم . . .

أنت اليوم قلب الشرق النابض ، لسانه المفصح ، عقله اليقظ ، ضميره الحىّ ، جبهته الأبية . . أمله المنشود !

أنت على الرغم من كل شىء قاهرة . . .

وستظلين مابقى الدهر ، وأنتِ « القاهرة » !

صديقك

« أبو الهول »

(عن رسوم ونقوش هيروغليفية — وفق الأصل !)

أحمد لطفي السيد

ليس من المتعذر على كاتبٍ أن يرسم صورة واضحة الملامح والقسمات «للطفي السيد» ، دون أن يجالسه ، بل دون أن تقع عينه على رسمه . . .

فالرجل يحيا في دنيانا هذه ، لا بجسده وشياته ، بل بفكره وعقله . . .

متى استوعبتَ آراءه وتأملاته ، تمثلتْ لك على الفور صورتُه واضحة تمام الوضوح . . .

إنه فكرة أكثر منه جسدا ، وعقل أكثر منه مادة ، وقوة تُحَسّ أكثر منه خلْقاً يُلْمَس . . .

إنه أدنَى شبها إلى الخط المستقيم الذي هو أقرب بُعْدٍ بين نقطتين ، ولكنه ليس بالخط السطحيّ ، يجري به المداد على القرطاس . . .

هو خط متغلغل يصل إلى أعمق الأغوار من الفكر الإنسانى الأصيل . . .

خط مستقيم لا غير . . .

خط سريع الحركة ، يندفع من نقطة البدء إلى نقطة الانتهاء ، كتيّار النور ، شديد التألق ؛ يبلغ الهدف ، كالقذيفة الصائبة !

إذا لمحتَ هذا الخط يَرِفّ فى سمــــاء الفكر ، أغناك عن خطوط كثيرة أُخَر ، تمتدّ حينا ، وتتعرّج حينا ، وتلتفّ هنا وهنالك ، يحسب الغافل أن فى امتدادها والتوائها وتداوبها سرّ عظمتها ، ولكنه فى الحق لا يصيب منها غير إخفاق التجربة ، وضَيعة الوقت ، وسوء المصير .

إنه كلمة واحدة . . .

لفظ غنىّ ، يزخر بكبار المعانى ، فيه غَنَاء عن مقال ومقال . . .

إن رسالة البعث للشرق وتجديد شبابه ، تلك التى هبط بها « الأفغانىّ » ونفخ فى روحها « محمد عبده » قد انتهت إلى يد « لطفى السيد » فحمل شعلتها ، وظل يُذْكيها ، ويتخطى بها أشواك العقبات والعراقيل . . .

وما برحتْ هذه الرسالة حتى اليوم فى يده ، ومن حوله جيل

هو صاحب توجيهه فى النهوض والمضىّ إلى الأمام ...

لقد تسلم « لطفى السيد » المشعل ، يوم كان وَقُوده الزيت ، فلما وجد الزيت غير صالح استبدل به « البترول » ، ونحن نراه اليوم يستبدل بالبترول قوة كهربية ، وكأننا نراه يفكر فى أن يزوّد مشعله بطاقة الذرّة إن كان لها أن تُنير !

وتلك هى الأمانة الكبرى التى تُناط بحَمَلة المشاعل فى الأمم النواهض ...

واجبهم مسايرةُ الزمن ، وملاءمة التطور ، والعون على التقدم والسبق ، دون اكتراث بشبطات التزمّت والجمود ...

نادى « لطفى السيد » بالوطنية المصرية ، يوم كانت الوطنية فى أوج حميّتها لا تعرف غير الوطنية العثمانية ، فكان الخفقة الأولى فى ذلك القلب المصرىّ الذى ينشد مكانه بين الوطنيات الخالصة ...

أدرك هذا الرجل ببصيرته العبقرية أن الإمبراطورية العثمانيةَ إلى زوال ، فكأنما أزاح الستار عن طوايا الغيب ، فتبيّن له أن هذه الإمبراطورية ليست فى ضخامتها إلا وَرَما يوشك أن يتراخى ويضمحل ، وأنه لا خير « لمصر » إلا فى أن تعوّل على نفسها ، لإيقاظ وعيها القومىّ ، ودَعْم استقلالها الوطنىّ .

ولم يلبث الغد أن كشف عن وجهه ، فإذا هو مِصْدَاق ما بَشَّر به « لطفي السيد » بالأمس ، فكانت فكرته نواة الثورة المصرية التي آتت أُكُلَهَا فيما بعد ...

واليوم وقد استتبّت فكرة القومية المصرية ، ورسخت جذورها ، وتسامقت فروعها ، وجد « لطفي السيد » عالم الحضارة يتطلع إلى تآلف وتآزر واتحاد ، فألفيناه يتمثل هذه الفكرة ، ويعبر عنها في تأييده « للجامعة العربية » على أساس أنها صلة بين أمم : « اتسعت بينها دائرة المشابهات ، وضاقت دائرة الفروق » !

ليس « للطفي السيد » كتاب من تآليفه ، شأنه في ذلك شأن سالِفَيْه : « الأفغاني » و « محمد عبده » ...

كل ما لهم أفكار ومبادىء وآراء يبسطونها حينا في توجيه أو إيحاء أو عمل ، ويرسلونها حينا في حديث أو خطبة أو مقال ، وإن قومهم ليلتقطون ذلك كله فيجمعونه ، كما يلتقط الحواريون والتلاميذ والشيعة ما تتمخض عنه عبقريات القدّيسين والفلاسفة وقادة الأمم ...

إن هؤلاء القدّيسين والفلاسفة والقادة لا يفرُغون عادة لتأليف وتدبيج ... حياتهم كتاب يمتدّ ويتجدّد وينمو ، وأيامهم

صفحات مسطورة ناطقة تملأ ها الأعين ، وتستملى منها الآذان ، وتهفو إليها القلوب !

أكبر ما يتميّز به « لطفى السيد » عقليته الإنسانية ، تلك العقلية الحرة الطليقة التى لا تحدّها قيود وأسوار ، فهى بما لها من أجنحة خفاقة لا تعجز عن التحليق فى شتى الآفاق ...

ولعل ذلك سرّ ما نراه من أُلفَتِه للفلسفة الإغريقية ، وبخاصةٍ صُحبته الأصيلة « لأرسطو » المعلم الأول ، الذى كان مناط فلسفته هو « الإنسان » فى أوسع زمان وأرحب مكان !

ليس بِدْعاً أن يكون « لطفى السيد » كصاحبه « أرسطو » مأخوذا بالطابع المنطقىّ الذى هو التناسق والتوافق على أساس من سلامة المقدمات وصحة النتائج .

تَرَى ذلك واضحا فى فكره وقوله ومسلكه ، فى هيئته وشارته ، حتى إن لَبُوسَه ليكتسى بذلك الطابع . فأنت تشهده أنيقا ، ولكنك تشعر بأن أناقته من نوع خاص ، لعل أصدق وصف لها أنها « أناقة منطقية » ...

بَذِيقة مُنَشَّاة ، ورباط رقبة منتظم العقدة ، وحلة كأنما صبّ فيها قوامه صبّا محكما يكشف لك عن رشاقة نبيلة .

وما حديث « لطفي السيد » إلا مظهر آخر من المنطق المتزن ، في غير غلظة ولا جفاء . .

يخيّل إليك، وأنت إليه مستمع، أن الكلمة لا تنفرج عنها شفتاه إلا بعد أن تجوز في مخيلته بأدوار وأطوار لا تقل في نظري عن أطوار الجنين التي يجتازها حتى يتخلّق بشرا سويّا ، فهو لا يتفوه بالكلمة إلا محكمة مكتملة النمو، ولا يلقي بها إلا في موضعها الذي ينتظرها لتملأه

لذلك تميّز حديثه بالأناة والاقتضاب ، وإننا لنراه يستعين بلفائفه يشعلها واحدة إثر الأخرى ، متخذا منها فُرصَ رويّة ، ومُهْلةَ تأمّل ، حتى لا يضجر السامع بما يكون من فترات الصمت . .

وخليق بجليس « لطفي السيد » أن يضجَرَ بصمته ، إذ يفوته بهذا الصمت أن يستمتع بما لحديث ذلك الفيلسوف من روعة وسحر .

وإن الحكمة القديمة تقول :

« إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب »

ولكن من يجلس إلى « لطفي السيد » مستمعا إليه ، يشعر دائما بأنه إذا كان السكوت من فضة فالكلام من ذهب !

عبد العزيز فهمي

كان شأنى مع « عبدالعزيز فهمى باشا » هو شأن كل امرئ مع الكبراء الذين يملأون الدنيا ويشغلون الناس ، هؤلاء الذين تتناثر أنباء بطولاتهم على الأسماع ، وتتعطّر بأحاديثهم الأندية والمجالس ، وتتجلى صورهم فى الصحف مختلفة الأوضاع . فإن تاح لك أن تراهم ، لمحتهم عَبْراً فى سيارة ، أو خطفاً فى مجتمع . . . وإنّ صورتهم التى تتمثل فى الأذهان لصورة أقرب إلى صور الأطياف ذوات الهالات من نَسْج الخيال !

ظلت علاقتى « بعبدالعزيز فهمى » لا تتجاوز هذا المدى . أعلم أنه أحد ثلاثة كانوا هم طليعة الوثبة الوطنية للمطالبة بحق الأمة المغتصَب ، وتتناهى إلىّ تلك الأحاديث النادرة التى تصف مواقفه الرائعة الجبارة فى السياسة والتشريع والقضاء . . .

وأول مرة اجتليتُ فيها صورة الرجل عن كَثَب ، كانت بدار المجمع اللغوى ، فى زيارة لتلك الدار . . .

تحسبه على أريكة يجلس جلسة تتوضح فيها الوداعة البالغة ، متراخى الأوصال ، قليلا على الأريكة شخصه الضئيل . . .

فاسترعى نظرى منه طول إطراقه ، وقد أزاح طربوشه إلى الوراء ، كأنما يفسح لأفكاره مجال الانطلاق . . .

فناجيت نفسى :

أهذا صاحب مشروع الحروف اللاتينية للكتابة العربية . . ذلك المشروع الذى انبعث من المجمع قذيفةً اهتاج لها رجال الفكر فى أرجاء الأمة العربية ، وكانت مثار يقظة ونشطة وانبعاث؟

ووقعتْ فى يدى نسخة من ذلك الكتاب الذى ترجمه « عبدالعزيز فهمى » منذ عهد قليل ، ذلك هو « مدوّنة جوستنيان » فى الفقه الرومانى . . . مجلد ضخم زاخر بخلاصة التشريع فى ذلك الزمن البعيد ، هو آية إعجاز فى دقة التعبير وإحكام الأداء ، تتجلى فى ديباجة عربية بليغة عليها رَوْنَق ورُواء .

ونَمَى إلىّ أنه احتبس فى داره ثلاثة أشهر ، يزاحم ليله بنهاره فى الترجمة والمراجعة والتنقيح ، حتى فرغ مما أراد فى الشهر الذى أكمل به عامه الخامس والسبعين ، فكأنه يتوّج تلك السنّ المباركة بذلك الجهد العلمىّ الرفيع !

كنتُ أقلب من صفحات ذلك الكتاب ، فتتراءى حوالىّ صورة ذلك الرجل الذى لمحته متكمشاً على الأريكة فى دار المجمع ، غارقاً فى تأملاته ، أشبه ما يكون بفيلسوف هندىّ من أولئك الذين أخذوا أنفسهم برياضات صوفية لا يطيقها إلا الأقلون الأندرون . . .

وذكرت بيت القائل :

وما المرء إلا الأصغران: لسانُه ومعقولُه والجسم وهمٌ مصوّر

شاء القدر بعد ذلك بفترة أن أمضى فى الريف بعض يوم ، فجُزْتُ فى طريقى « بكفر المصيلحة » — بلدة «عبدالعزيزفهمى» — فألفيتنى أقف برهة متطلعاً إلى تلك البلدة ، محدقاً فى بيت « عبدالعزيز فهمى » الشامخ ، ذلك البيت العتيق الذى هو بقية من دور الأسر العريقة فى الريف ، تلك الدور التى كانت مثابةَ الآباء والأبناء والحفداء ، كلّ دار منها كأنما هى وطن يحوى أمة !

ولبثت أتسمّع أحاديث الناس ، فإذا هى ألسنة تمجد مآثر الرجل ، وتُشيد بما له من فضل على تلك القرية السعيدة وأهليها المتصافين . . .

هذا يخبر باهتمام الرجل بالزرّاع من أهل مِنْطَقَته ، يأخذ

بناصرهم ، ويوجهوهم وجهة التشمير والتعمير . . .

وذلك يفيض فيما كان للرجل من أياد كريمة لتمدين البلدة وتجديدها ، بتعبيد طرقها وتوشيتها بالمنازه والمؤسسات ، حتى لقد أضحت « هليوبوليس الريف » ، وأصبح هو « بارون امبان كفر المصيلحة » !

وثالث آخر يذكر كفاح الرجل فى سبيل نشر التعليم بين أبناء بلده ، فإن الأمية هناك لتتوارى فراراً أمام تلك المعاهد التى نفخ فيها الرجل من روحه ، فانبرتْ ترسل النور ...

فى هذه القرية المنزوية بين حواضر الأقاليم مدرسة ابتدائية لتعليم البنات ، فلا بِدْعَ أن يقصّ علينا متحدث رابع أطروفة فكهة ، تلك هى أن الفلاحات يخرجن فى الأصائل إلى النيل ، حاملات جِرارهن يَسْتَقِينَ ، فإذا ما صدَرْن عن الماء آيبات إلى الدور ، وقفن فى منعطف الطريق ينتظرن . . ينتظرن بائع الصحف ، حتى إذا أهلَّ عليهن برِزْمته ، تخاطفنَ منه الصحف فى حمية وشغف ، واستأنفن سيرهن يتخطّرن ، وقد أمِلن على رءوسهن الجِرار ، ومضين يُرْوِينَ ظمأهن من أنباء السياسة وشئون البلاد ! . . .

أذكت هذه الأحاديث شوقى إلى أن أجلس إلى « عبد العزيز فهمى » جلسة تحية وتعارف ، فلما قفلت إلى « القاهرة » لم يهدأ لى بال حتى رغبت إلى صديق فى أن يضرب لى معه موعد لقاء . . .

وفى منتصف الثامنة من أمسية يوم كنت أنا وصديق أمام دار الزعيم ، تلك الدار الصغيرة التى ترفعت عن أن تنافس فى ترف القصور . . .

وما هى إلا لحظة حتى احتوانا بهو الضيافة ، ولبثت واقفاً أجيل الطرف حولى ، وقد شملتنى رهبة ومهابة ، على الرغم من سذاجة ما يحيط بى من مظاهر . . . طابع شرقى محافظ ، مشبع بجو عائلى تشيع فيه الطمأنينة والهدوء .

فرحت أهجس :

هنا فى هذا البهو تلاقت شخصيات عظيمة ، واختمرت أفكار حاسمة ، وإن حيطانه الصوامت لتختزن أصداء ذلك اللفيف من الرعيل الأول الذى كانت خطاه رسماً لأقدار « مصر » الحديثة فى نهوضها السياسى والاجتماعى والعلمى . . .

هذا البهو كعبة تكسوها غلائل من الجلالة والتقديس ، وإنى لأكاد أجثو من روعة التذكار لما دار فى تلك المثابة من قول لم يذهب مع الريح !

لم تكد تمضى بضع لحظات حتى ارتقينا الدَّرَج إلى عُش الزعيم ، فأقبلنا عليه فى حُجَيْرة خشبية نصفها الأعلى نوافذ تنسدل عليها الأستار . . . وكان الزعيم جالساً فى ركن خلفه مصباح ساطع النور ، وبين يديه منضدة بُسِطَتْ عليها صحف فوقها كتاب مفتوح . . .

ورأيناه فى لِبْسَةِ المُتَفَضِّل : منامة صيفية ، وقلنسوة بيضاء تترامى على مؤخر رأسه ، وكان لقاؤه لقاء السَّمْح الأريحى فى حفاوة شرقية أصيلة تنشرح لها الصدور . . .

جلستُ إليه دقائق مستغرقا فى صمتى ، شاخصا ببصرى لا أريمُ وجه ذلك الرجل الذى تتضوّأ شيخوختُه أنيسة مُحببة ، وأنا أصغى إلى كلمات الترحيب تتدفق من بين شفتيه فى عذوبة وصفاء . . .

وراعنى أول وهلة أنه مجهود الصوت ، مبهور الأنفاس ، حتى إنه ليقطع ترحيبه بفترات استجاع واستجمام ، فخشيت أن أكون قد لقيته فى وقت غير ملائم ، وجعلت أخالس صديق النظرَ أُسائله ، فطمأنى بأن زعيمنا قد أَلِفَ هذه المجاهدة ، فليس عليه من ضير . . .

وأسرعتْ إلينا أقداح القهوة ، وكُشِفَتْ عُلبة اللفائف ،

وما هي إلا أن تفجرت ينابيع الموضوعات يطغى بعضها على بعض، ويجري الحديث طلقا زاخرا لا لغو فيه ولا فضول. فلبثتُ أستمسك بالإصغاء، مؤثرا ذلك السكوت الذهبيّ الذي يتيح لي أن أُودِعَ سمعي غوالي الكلام...

حديث «عبد العزيز فهمي» صورة واضحة من شخصيته: خِلاَبة في المنطق، ونصاعة في العرض، وصدق في اللهجة...

إن الكلمات لتندفع على شفتيه مشبوبة الحيوية تتوهّج، وإنك إذ تستمع إليه لتستشعر خفوقَ قلبه وثورة دمه، فيتجلى لك مظهر رائع من حرارة الإيمان ونقاء الطوية وصراحة الرأي...

حسبك أن تجلس إلى الرجل جلسة واحدة تسمع ما يفيض فيه من الحديث، لكي يستبين لك جِمَاعُ الخصائص النادرة التي عُرِف بها في حياته العامرة...

للرجل افتنان في الأحاديث يتيح له أن يجوز بك آفاقا رحابا في عالم الفكر، وله عون أيّ عون من ذاكرة أمينة بالغة الأمانة، وذكاء عبقريّ لا تردّه حدود، ونزعة إلى الاطلاع تَعْبُّ ولا تَرْوَى.

وإنه ليحاورك ويطارحك القول دون أن يفرض عليك وجهة

فطن ، ولكنه يتجمع لبسط رأيه والإقناع به ، قوىّ العارضة ، طيّع البديهة ، مُسْكِت الجواب !

كان « الباشا » بين الفينة والفينة يستريح ، وهو يدور بعينيه حوله ، كأنما يتلمس من الهواء عونا على تجديد الأنفاس ، ثم إذا هو يستأنف الحديث ، أندى صوتا وأقدر على مواصلة الكلام ...

ودخلتْ علينا الحجرة سيدة ما إن لمحتُ سَمْتَها حتى عرفتُ أنها قَهْرَمَانَةُ البيت ، تفصح ملامحها عن إغريقية واضحة ... دخلتْ تحمل حفيد الزعيم ، يزوّد جدّه بتحية المساء ، فما إن رأى الطفلُ جدّه حتى تعلق بعنقه ، وأقبل عليه الجدّ يبادله التحية والعناق ، وكانت التحيتان كلتاهما تتشابهان وتنسجمان فى الوداعة والسذاجة واللطف ، فــلا غرو أن يلتبس الأمر على الناظر ، لا يدرى أيتهما تحية الجد ، وأيتهما تحية الحفيد ؟ !

وانصرفت القهرمانة بالطفل ، وما هى إلا أن رجعت تحمل قدحا فى قَرارته جُرُعات الدواء ، فارتشفها الزعيم فى طوع واستسلام ...

وكنا بين حين وحين نسمع « الباشا » ينادى تلك السيدة ، راغبا إليها فى إحضار كتاب ، أو علبة لفائف ، أو كوب ماء ، أو غير

ذلك من الأشباه ، فتلى السيدة النداء ، رزينة السَّمْت ، موفورة النشاط ، تزاول عملها فى جدّ وإقبال ... تغدو وتروح فى خفة ابنة العشرين ، وإن كانت بادنة تقدمتْ بها السِّنون ...

إذا دخلتِ الحجرة دبتْ بخطا متزنة عليها طابع السيادة والتأمُّر ، فيظهر لنا أول وهلة أنها قد وُكِلَ إليها أن تتعهدَ شأن الزعيم وتسهر على راحته . لا ينازعها فى مهمتها منازع !

وقد نرى « الباشا » منبريا يتحدث عن قصص القرآن وما له فى شأنه من رأى ، فإذا برغبة تهجس فى نفسه ، فلا يكاد يرفع الصوت مناديا تلك القهرمانة ، حتى نبصر بها أمامنا ، كأنما انشقت الأرض عنهـــا ...

إنها لتحدس رغباته قبل أن تسمع نداءه ، فتخف إليه بما يطلب ، فى أسرع من رَجْع الطرف وخطف البرق .

حان وقت العشاء ، فجِئ لكل منا نحن الثلاثة بصينية مستقلة زوِّدت بمعدَّات الأكل وصِحاف الطعام ، وأذكرتنى هذه الطريقةُ أسلوبَ الإطعام الأمريكىِّ فى الطائرات والمطاعم المسماة فى « أمريكا » : « كافيتريا » ...

وهالى ما حفَلت به صينيتى وصينية صديق من أطعمه شهية مختلفة الألوان ، فرفعت عينى إلى صينية « الباشا » فإذا أوضح ما فيها

قارورة مُليئت حساء مجمّدا يؤخذ منه القدر المطلوب ليذاب في قليل من الماء السّخين . وبجانب القارورة صحفة عليها شرائح رقيقة من شِواء ، وخلفها صحفة فيها قطع من الطماطم ؛ وغير بعيد صحفة ثالثة فيها شِقّة ضئيلة من فاكهة الشّمّام . . .

والتفتّ إلى الصديق أسائله فيما أرى ، فأخبرني بأنه لا يعرف أن « الباشا » زاد في طعامه على هذا النحو ، منذ وصلت بينهما أسباب اللقاء !

وكانت القهرمانة تشرف على الخدم ، تومىء إليهم فيأتمرون ، وتشير فينتهون . وما لبثت أن تولتنا بالرعاية والتعهّد ، تُلحّ علينا في أن نأكل من هذه الصّحفة أو من تلك ، وكأنها بذلك تَسلُكنا في عِداد أطفالها المدلّلين ، لزام أن نملأ البطون لنكبر ونترعرع . ونكسِب رضاها الثمين !

وياطالما وقفت تُجاهَ « الباشا » تأبى عليه أن يتكلم ، وتحثه على أن يستوفي حظه من الطعام غير منقوص ، فلا يملك زعيمنا العظيم إلا أن يرفع إليها بصره في صمت هادىء ، وعلى محيّاه طابع الحَمَل الوديع !

وفرغنا من الطعام ، وحُمِلت الصواني ، فعادت منضدة « الباشا » إلى وضعها الأول :

كُومات من الصحف والأوراق يعلوها كتاب …

ولاحظتُ أن « الباشا » يُعْنَى بهذه الكومات، وكثيراً ما مدّ إليها يده، يخشى أن يَبِيدَ منها شيء!

فنظرتُ إلى الصديق؛ فإذا « الباشا » يفطُنُ إلى ما دار فى خاطرى من سؤال، فأخذ يحدثنى عن هذه المنضدة يزهّدنى فيما حوت أكبر تزهيد، ويهوّن من شأنها أبلغ تهوين، ولكنه فى ثنايا حديثه أشار إلى أنه ينهَى أحداً أن يمسَّ منها ورقة أو يكشف عن مكنون، مهما يكن من أمر، وأنه يبسط عليها الصحف واحدة تلو الأخرى …

فأدركتُ أن « الباشا » يتخذ الصحف دَرِيئَةً تستخفى تحتها ذخائر وكنوز، كما يتخذ الجندىُّ أغصان الأشجار وألوان الرمال فى مناطق القتال، تعمية لما يرغب فى سَتْره عن العيون …

تَسطْحُ هذه المنضدة طبقات، فى كل طبقة رسائل وأوراق وأسانيد تتشابك بها ضروب من وقائع تاريخية وذكريات عزيزة وتعليقات فى علم وأدب وسياسة وتشريع، وكأن كل طبقة من هذه الطبقات حِقْبَةٌ من التاريخ وكَرّة من الزمن عامرة بالكوائن والأحداث!

ذلك هو سر المنضدة، نكشف عنه الستار، وأمرنا إلى الله فيما يكون من عتاب وحساب …

عاد « الباشا » إلى حديثه الطلي ، حتى مر هزيع من الليل ، لم نكد نصدق أنه مر ، ولولا أني آثرت راحة زعيمنا العظيم لما صدرت عن ذلك المجلس الذي أصبت فيه رفيعاً من إمتاع السمع والعقل والروح ...

وقفت خاشعاً أمام مضيفنا الكريم ، آخذ بيده أحييه ، أحيي قوة شعت أضواؤها ، فكان منها دستور ، وكان منها تشريع ، وكان منها توجيه وطني آتى « مصر » أبرك الثمرات !

في تلك اللحظة انتظمتني تلك النشوة العلوية التي يستشعرها المرء في مواقف الإكبار والتمجيد ...

وخرجت راضياً عن نفسي كل الرضا ، بما أكسبتنيه هذه الزورة من التسامي فترة في أفق مثالي خالص من شوائب الأغراض التافهة ، وشواغل الحياة الرخيصة مما يزحم دنيا الناس !

غادرت تلك الدار ، وقد طوفت برأسي خواطر :

ذلكم زعيمنا العظيم ، يركن إلى هذه الدار المتواضعة المستأجرة ، قانعاً فيها بتلك الحجيرة الزجاجية ذات الأستار يقضي شيخوخته النبيلة في حشد من ذكرياته العطرة بالمآثر والأمجاد !

لم تمتد عين « عبد العزيز فهمي » إلى أن تكون له قصور يتجلى فيها البذخ والترف ، بل لقد عف قادراً عن ذلك الضرب من كسب الحياة ،

وآثر لكرامته ولضميره أن يظل كلاهما بنجوة عن متاع خداع مصيره للزوال!

أعجب ما روعك من خصائص «عبد العزيز فهمى» ظمؤه الدائب إلى العمل، فإنه ليقضى أطول يومه فى تلك الحجيرة الحبيبة إليه، عاكفاً على المطالعة والمراجعة، كأنه مُوَكَّل بالهوامش البيض فى الكتب يُتَمْنِمُها بما يجرى به قلمه من ملاحظة وتعليق.. وإن العمل ليتمد به حتى يطغى على ليله، وربما أسلمه إلى مطالع الأسحار، وما برحت أقداح القهوة تُوافيه وعُلب اللفائف تغدو ملأى وتروح خالية، والخدم يتناوبون خدمة ذلك المتهجد اليقظان!

حياة «عبد العزيز فهمى» سلسلة من المغامرات فى سبيل العمل، فهو لا يحل مثابة ولا يشترك فى شىء إلا كان العملُ رائده فيه، فإذا هو يثير حوله فورة النشاط والدءوب...

هيهات أن يكون سلبيًّا فى موقفه، مكتفياً بملء كرسيه، فهو على يقين أنه صاحب رسالة لا يستأنى فى أدائها حيثما حل، مقتحماً فى سبيلها أشتات العوائق والأشراك...

يجلس عضواً فى لجنة الدستور، فيكون أبا الدستور...

ويهبط الريف، فيثير فيه ثائرة تعمير وتمدين وإصلاح...

ويتسنم ذروة القضاء، فيقيم بأحكامه صرحاً من القواعد الجديدة

يتمثل فيه استقلال الرأى وعبقرية الذهن ، ويصبح شغلا شاغلا لمعاهد الفقه والتشريع . . .

ويُدْعَى إلى المجمع اللغوى ، فإذا هو السبّاق إلى ارتياد آفاق جديدة تحدوه إليها حرارة العقيدة وألمعية التفكير . . .

« عبد العزيز فهمى » فى شيخوخته العالية فتىّ العقل ، طَلاّع دائما إلى التجديد ، وهو إلى ذلك قوىّ الشكيمة ، غلاب الحجة ، لا يتهيّب مواقف الاقتحام . . .

لا خلاف على أن « عبد العزيز فهمى » زعيم ، فإن زعامته ملء القلوب والأسماع والأبصار ، ولكن الحق أنه زعيم من طراز خاص . . .

وكان مُحالاً أن يكون الرجل زعيما من ذلك الطراز المعروف الذى تتولى فيه الزعامة قيادة الجماهير ، وتلتفّ حولها أشتات الطبقات ، وتحرص على اجتذاب الناس بشتى الذرائع والأسباب ، وتؤثّر فيهم بألوان المغريات ، حتى تأخذ بنواصيهم إلى ما تهدف إليه من أغراض وغايات . . .

ليس « عبد العزيز فهمى » بذلك الزعيم الشعبى ، فإن الزعماء الشعبيين يفتقرون إلى مزاج خاص تتجلى فيه وفرة المرونة ، وسعة الحيلة ، ومالأة الأحداث ، وتحسّس الأهواء ، والتردّد بين اللين

والعنف ، طوعا لطوارىء الجزر والمد ... وإن ذلك كله ليتطلب من الزعيم ألا يكون متطرفا فى مثاليته ، صلبا فى عقيدته ، متفردا برأيه ، متخشنا فيما يتخذ من وسائل لبلوغ الأهداف .

و « عبد العزيز فهمى » مزاج رفيع من التطرف والصلابة والتفرد والتخشن ، تلك الخصائص التى تجعله زعيما من ذلك الطراز الخاص الذى يورى الزناد ، وينفخ فى الروح ، ويبعث اليقظة ، ويختط الطريق ؛ ثم يدع لغيره من الزعماء أن يخوضوا وسائل التنفيذ ، ويمارسوا فى ذلك ضروب التجاريب .

هو صاحب « فكرة » يطرحها على أعين الناس ، وليس عليه بعد ذلك أن ينافس فى تحقيقها ، وأن يحتمل ما يقتضيه ذلك التحقيق من أعباء دنيوية لا يصبر عليها أصحاب المزاج المثالى المتخشنون !

« لعبد العزيز فهمى » فى أذهان عارفيه صورة تملأ الأفئدة رهبة وخشية ، بما عليه من حدة نفسه ، وعنف مواقفه ، ولكن هذا الرجل الجبار فى المواطن التى يخشى فيها حقا أو يدفع ظلامة ، ينطوى على « إنسانية » تتوهج فيها رقة العاطفة ورهافة الشعور ...

ولعل أوضح ظاهرة تتمثل فيها « إنسانيته » العاطفية ، أنه فى بيته لا يأبه له اثنان :

الطفـــل .

والقـــط .

فحفيده إذا دخل عليه أخذ يعابثه فى جسارة واجتراء ، وراح يختطف ما يحلو له مما بين يديه ، وهو على ثقة أن جده الشفيق لن تبلغ به الثورة إن ثار حداً يُخاف !

وأما القط ، فإنه يقارب مجلس الزعيم ، فإذا زجره لم يكترث ولم يتحلحل ، وربما سمع القط نأمة بعيدة من أحد من أهل الدار ، فلا يلبث أن يلوذ بالفرار . . وما أقرّ القطّ فى مكانه من مجلس الزعيم إلا إحساسُه بأنه فى رحاب طمأنينة وأمن ، وأن الزعيم وإن زجره بلسانه فلن يصيبه منه أذى !

لأستاذنا الأكبر تحية اعتذار ، ومودة إكبار . .